مقياس النقد الأدبي المعاصر
السنة الثانية ليسانس/

النقد السيميائي

1-إشكاليةالمصطلح :

السيميولوجيا،السميوطيقا،السيميائيات،العلاماتية، علم الإشارة،علم العلامة،الدلائلية... هي مصطلحات كثيرة التداول في الساحة النقدية العربية المعاصرة، يؤكد اختلافها على تعدّد المرجعيات والرؤى والتوجهات فيما يخص هذا المجال المعرفي الجديد، الذي يُعنى بالعلامة من حيث كنهها وطبيعتها ووظيفتها والقوانين التي تحكمها؛هذه الاختلافات تجد مصدرها في المنشأ المزدوج لهذا العلم الجديد يقول برنار توسان: «المصطلحان سيميوتيكا(Sémiotic)وسيميولوجيا(Sémiologie) مترادفان الأول من الانجليزية والثاني من الفرنسية»؛ وعليه يستعمل الأوروبيون مفردةالسيميولوجيا(Sémiologie) التزاما منهم بالتسمية السوسيرية(نسبة إلى فرديناند دوسوسير(F. De saussure)، أما الأمريكيون فيتّبعون تقاليد موازية تعود إلشارل بورس(C. Pierce) الباحث الأمريكي المشهور ويؤثرون مصطلح السيميوتيك (Semiotics)«ويفهم من ذلك أن(السيميائية) معطى ثقافي أمريكي-أساسا-يحيل على مفاهيم فلسفية شاملة وعلامات غير لغوية ،بينما (السيميولوجيا) معطى ثقافي أوربي هو أدنى للعلامات اللغوية؛ والمجال الألسني عموما منه إلى أي مجال آخر».كما يذهب بعض الباحثين في ذات الصدد إلى أن السيميولوجيا تختص بالتصور النظري وهي بذلك لفظة عامة، أما السيميوطيقا فتعنى بالجانب الإجرائي التحليلي وهي بذلك منهج تطبيقي (أداة عمل). وعلى الرغم من الاختلاف البيئي و التباين المنهجي/الوظيفي بين المصطلحين، إلا أن «علماء العلامات-في مجملهم-كثيرا ما يرادفون بين المصطلحين، ويتساهلون في استبدال أحدهما بالآخر»، كما يرادفون بين السيميائيات ومصطلح آخر هو البنيوية الذي سيصبح انطلاقا من أعمال حلقة براغ «مختلطا إلى هذا الحد أو ذاك مع كلمة السيميائية». هذا التداخل في الاصطلاح الغربي كان له بالغ الأثر على آليات صياغة المصطلح في السياق العربي، حيث نجد أن النقاد والباحثين العرب،غالبا ما يستنيمون إلى مصطلحات ترتبط أساسا بمرجعياتهم (فرانكفونية أو انجلوساكسونية)، فبعضهم يوظّف السيميولوجيا وبعضهم يفضّل كلمة السميوطيقا.

«وخاصة أنها تمضي على نفس النسق التي كانت تمضي عليه عمليات التعريب كما انتقلت كلمات البيوطيقا وغيرها بهذا الشكل اللغوي» وبعضهم يستعمل مفردة العلاماتية، أمامجموعة النقاد المغاربة ، فقد دعوا إلى ترجمتها ب "السيمياء " " محاولة منهم في تعريب

المصطلح .والسيمياء مفردة حقيقية بالاعتبار لأنها كمفردة عربية... ترتبط بحقل دلالي لغوي - ثقافي يحضر معها فيه كلمة مثل السمة والوسام والوسم والميسم والسيمياء والعلامة وإن كان الباحث " صلاح فضل " يذهب مذهبا آخرا في كتابه" مناهج النقد المعاصر" حيث يعتبر أن السيمياء«كانت تقترن في الأدب العربي القديم بالكهانة والسحروالميمياء بالمفهوم القرسطي واقتفاء الأثر وغير ذلك من الإيماءاتالتي تبعده عن الإطار المعرفي الحديث ». لكن بالرغم من هذا وذاك تظل الدلالة العامة لهذه المصلحات ترتبط بذلك العلم الذي يعنى بدراسة العلامات أي علمالعلامات[1](Science dessignes)كما يتداول كثيرا في الدراسات المعاصرة، وإن كان بعض الباحثين ينتقد هذا التعريف مؤكدا أن «السيميائيات على العكس من ذلك، هي ذلك العلم الذي يهتم بتمفصل الدلالات وأشكال تداولها،أو هي العلم الذي يرصد تشكل الأنساق الدلالية ونمط إنتاجها وطرق اشتغالها».

2- مفهوم العلامة :

يتضح من خلال ما سبق إن العلامات وأنساقها هي الموضوع الرئيس للسيميائيات، ويبقي السؤال بعد ذلك:ماذا نقصد بالعلامة ؟ لقد أحصى امبرتو ايكو العديد من الاستعمالات المعجمية لكلمة علامةمن اللاتينية (Signum) ولعل أهمها:الإمارة،السمة،الإيماءة،الشكل الطباعي، الرمز....

ومن الصعوبة بمكان إعطاء تعريف اصطلاحي واحد نهائي للعلامة ومرد ذلك إلى كونها مفهوما قاعديا أوأساسيا " ليس فقط في الحالات الأدبية واللغوية بل في مختلف العلوم وشتى أنواع المعرفة أيضا. فالسيميائيات تركز على تطبيقاتها (أي العلامة) ونتائجها "ابتداء من ممارسة الاتصال الحيواني البدائي وانتهاء بأكثر أنظمة الاتصال الإنساني تعقيدا وتشابكا وتركيبا مثل لغة الأساطير والشعر والأدب عامة وعلوم اللغويات و الانتروبولوجية والسوسيولوجية واليسيكولوجية والرياضة والمنطق الفلسفي والرياضي والعلوم الطبيعية والإنسانية بصفة عامة إلا أن هذه الاعتبارات لم تمنع الباحثين والنقاد المعاصرين من الاجتهاد في تعريف العلامة ، وقد جاء في موسوعة النظريات الأدبية للباحث نبيل راغب مايلي:«أما العلامة التي تعتبر محور النظرية السيميوطيقية فقد اصطلح على أنها "شيء " لابد أن يتم إدراكه حتى يظهر شيئًا آخر لايمكن أن يظهر بدونه » وهو في ذلك لا يبتعد عن التعريف الذي تبناه "امبرتوايكوEmberto Eco في كتابه العلامة، يقول:

« تستخدم العلامة من أجل نقل المعلومات أو من أجل قول شيء ما أوالإشارةإلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أنيشاطرهالآخر هذه المعرفة .إنها بذلك جزء من سيرورة تواصلية من نوع: مصدر-باث-قناة-إرسالية- مرسل إليه». ويمكننا القول إن العلامات هي المكونات الداخلية التي تحتوي عليها إرساليات التواصل الإنساني ، إنها جزء من السيرورة

[1] Gérard Gengembre,Les grands courants de la critique littéraire, Editions du Seuilnparis; p 42.

التواصلية/الإبلاغية المندرجة ضمن تسنينات ثقافية واجتماعية محددة ، وهي -بالتالي -ذات طبيعة مختلفة:علامات لسانية(كلام –كتابة) ،علامات غير لسانية(شمية- لمسية-ذوقية-إشارية –سمعية-ايقونية، علامات طبيعية، علامات اصطناعية...وهو ما حدا ببعض الباحثين إلى القول:«لاشيء يوجد خارج العلامات أو بدونها ولا شيء يمكن ان يدل اعتمادا على نفسه دون الاستناد إلى ما توفره العلامة كقوة للتمثيل ».

3- التأسيس :

يرتبط ظهور علم العلامات بباحثين عاشا إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر وماتا في مطلع القرن العشرين وهما العلم اللغوي دوسوسير (1913-1857) وشارل سندرس بورس (1914-1838) وقد بشرا كل بطريقته بهذا العلم .

أ – السميويولوجيا عند دوسوسير :

درس دوسوسير العلامة اللغوية ووضع خواصها الأساسية ورأى أنها تندرج في منظومة العلامات بصفة عامة وان كانت الكلمة بوصفها علامة – تعبر عن فكر ما فإنها تقترب في ذلك من علامات أخرى سمعية وبصرية تدل على شيء آخر غير ذاتها وان المستقبل يعد بنشأة علم كبير لنظم العلامات المختلفة يعتبر علم اللغة جزءا منه ويخضع لقوانينه وقد اقترح دوسوسير مصطلح السيميولوجية (علم العلامات) للتدليل على هذا العلم الجديد مثلما جاء في كتابه " دروس في علم اللغة العام عام 1916 (أي بعد وفاته) «اللغة نظاممن العلامات التي تعبر من الأفكار ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو أبجدية الصم والبكم أو الطقوس السحرية أو الإشارات العسكرية أو غيرها من النظم ولكنه أهمها جميعا ويمكن أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع مثل هذا العلم يكون جزء من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسنطلق عليه اسم علم العلامات (sémiologie)وهي لفظة مشتقة من كلمة الإغريقيةsémion(العلامة) ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن لا يمكن التكهن بطبيعته وماهيته ولكن له حق الظهور الى الوجود فعلم اللغة هو جزء من علم العلامات العام والقواعد التي يكشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة ».إن العلامة اللغوية عند دوسوسير كيان سيكولوجي (نفسي) مجرد، قوامه عنصران متلازمان يشبهان وجهي العملة الواحدة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر:الأول الدال (signifiant) وهو الصورة الصوتية / الحسية (image acoustique(. والثاني هو المدلول (signifié)وهو الصورة الذهنية وكلاهما الدال والمدلول ذوا طبيعة نفسية يتحدان في دماغ الإنسانبآصرة التداعي (الإيحاء).

وكما هو واضح فان العلامة اللغوية – عند دوسوسير - كيان ثنائي المبنى مغلق على نفسه لا يحيل إلى شيء خارجه في عالم الموجودات – وبالتالي فقيمة العلامة إنما تكمن في علاقتها بما يجاورها من العلامات .

ويرى دوسوسير إن العلاقة بين وجهي العلامة ليست توقيفية بل اعتباطية (arbitraire) في مجملها بالرغم من انه يعتر فان من مميزات الرمز انه لايكون اعتباطيا على نحو كلي فرمز العدالة – الميزان – لايمكن استبداله اعتباطيا بأي رمز آخر كالعربة مثلا لكن إقراره باعتباطية العلامة اللغوية جعله يحجم عن القبول بمصطلح الرمز .

لهذا لاقت آراؤه حول العلامات انتقادات كثيرة فشدد بعضهم على الجانب النفسي الذي غلّفت به العلاقة بين الدال و الدلول وركز بعضهم على اعتباطية العلاقة .

بينما اعترض "رولان بارت " على مقولة دوسوسير بان اللغة ليس إلا جزءا من علم العلامات العام داعيا إلى قلب هذه الأطروحة والنظر إلى السيميولوجيا بوصفها فرعا من علم اللغة العام.

ب –السميوطيقا عند بورس :

العلامة كما عرفها بورس هي«شيء ما من شأنه أن يقوم مقام شيء آخر، ويقوم مقامه بطريقة محددة بالنسبة إلى شخص معين» وعليه فقد جعل بورس السيميووطقا مناط دراسة التجربة الإنسانية عامة معتبرا إياها محرك باقي العلوم الأخرى منطلقا من إبدالات نظرية أملتها الحقول المعرفية المتعددة التي أقام عليها نموذجه السيميوطقي(الرياضيات المنطق الفيزياء...) وهو ما يجعل نظريته اشمل وأكثر عمومية من نظرية دي سوسير،لأنها لا تتوقف عند حدود اللغة، فالسيميائيات البورسية ليست مرتبطة باللسانيات حصريا بل موضوعها التجربة الإنسانية (واللسان جزء منها). كما أن العلامة عند بورس وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين كما هو الشأن عند سوسير .

ومبدأ الثلاثية عند بورس يعود في واقع الأمر إلى تصور نظري ، يجعل من العالم بكافة أبعاده علامة، ويعود أيضا إلى كون كل عنصر داخل العلامة قادر على الاشتغال كعلامة .وعلى هذا الأساس فان العلامة كيان ثلاثي الأبعاد يتكون من: المصورة أوالماثول (représentamen) والموضوع (objet) والمؤول أو المفسرة (interprétant).

التفريع الثلاثي الأول:

- **المصورة أوالماثول:(Représentamen)** هو شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما من وجهة ما وبصفة ما.هي- بالتالي-الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر.إنه لا يعرفنا على شيءآخر ولا يزيدنا معرفة به .إن وظيفته الأساسية هي التمثيل لشيء آخر،فإذاأخذنا قطعة من ورق أبيض (ماثول) كعينة لعلبة صباغة (موضوع) فان هذه القطعة لا تشير إلاإلى اللونالأخضر الخاص بالموضوع (علبة الصباغة) ذلك أن المعرفة الخاصة بالموضوع (علبة الصباغة) مفترضة من خلال مجموع مظاهره (المادة، الاستعمال)

- **الموضوع (objet)** :إن الموضوعفي التصور البورسي هو ما يقوم الماثول (المصورة) بتمثيله سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق.
- وقد ميز بورس بين موضوعين في علاقتهما بفعل التمثل:

1/ موضوع مباشر: معطى داخل العلامة كمعلومة جديدة تضاف إلى سلسلة المعلومات السابقة أي ما يدرك بشكل مباشر دون حاجة لاستحضار شيء آخر

2/ موضوع ديناميكي : ضمني ومعطى بطريقة غير مباشرة .

لتوضيح هذا التمييز بين الموضوعين يعطى بورس المثال التالي :-الشمس زرقاء

- إن هذه الجملة حسب بورس تحتوي على معرفتين (موضوعين) هناك أولا الموضوع " شمس" فهذه" الشمس " نعرف عنها أشياء كثيرة قبل تحققها داخل الجملة

إنها نجم لها موقع محدد داخل منظومة بعينها ونعرف ما قاله الفيزيائيون عنه وما قاله الشعراء ونعرف عنها كذلك موقعها داخل الخرافات ....إلى غير ذلك من المعلومات التي لايمكن تفسيرها إلا من خلال استحضار التجربة الإنسانية وتفاعلها مع محيطها الطبيعي.

إنّ إسناد الزرقة إلى الشمس معلومة جديدة-مفترضة- يضيفها المتلقي (المرسل إليه) إلى باقي المعلومات الأخرى التي يعرفها سابقا.«وتبعا لذلك فان المعلومة هي ما يطلق عليه بورس الموضوع المباشر،أما المعلومات الأخرى الضمنية غير مباشرة فإنها تشكل الموضوع الديناميكي».

- **المفسرة أوالمؤول(Interpretant):**هو العنصر الثالث في البناء العلامي الثلاثي الأبعاد الذي يقترحه التصور البورسي،وطبيعته التوسطية تجعل منه شرطا ضروريا من شروط اشتغال السيميوز(السيرورة السيميائية التي تقود إلى إنتاج دلالة ما).إن المؤول هو ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام،وبالتالي هو الذي يحدّد للعلامة صحتها ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية،فالمؤول يحيل على الموضوع وفق القانون.

مثال :إذا نطقنا بكلمة " سيارة " أمام شخص لم يسبق له أن سمع هذه الكلمة ولا رأى سيارة، فانه بالتأكيد لن يدرك أي مضمون فكري ستظل الكلمة في ذهنه مجرد إمكان لا غير،إلاإننا إذا وضعناه أمام سيارة فسنكون حينها قد ربطنا بين اسم وشيء موجود فعلا أو ربطنا بين مجموعة من الأحاسيس وبين ما يجسدها في واقعة فعلية.ولئن هذا الربط مؤقت وعرضي ولا يرتكن إلى أي قانون فهو غير كاف لكي نتحدث عن فكر أو قانون أو ضرورة.هذا القانون هو الفكر الذي يجعل كل الأشياء المشابهة تصدق عليها كلمة سيارة وهذا القانون هو التعريف الذي يعطى للسيارة فهي آلة ميكانيكية تحتاج إلى الوقود للاستغلال وتسير على أربع عجلات وتستعمل للتنقل .... حينها سيتخلص الرجل من' النسخة " الموجودة أمامه ليتملك النموذج الذي

يستوعب داخله كل النسخ فعندما يتملك هذا القانون فان كل السيارات أي كل الآلات التي تستجيب لعناصر هذا التعريف ستكون عنده سيارة دونما اعتبار لنوع السيارة أو هيئتها ....

التفريع الثلاثي الثاني : وهو من أشهر التعريفات التي تحدد نوع العلامات من منطلق العلاقة القائمة بين الماثول (المصورة) والموضوع.

1/ **العلامة الأيقونة (icône)** :وهي« العلامة التي تكون فيها العلاقة بين الماثور (المصورة) والموضوع(المشار إليه) علاقة تشابه في المقام الأول سواء وجد هذا الموضع أو لم يوجد وسواء كان الشيء نوعية أو كائنا موجودا أو عرفا» ويميز بورس بين ثلاثة أنواع من الإيقونات:

- **الأيقون / الصورة**:وهو ما يحيط بنا من صور،تكون فيها العلاقة بين الماثول وموضوعه علاقة تشابه،كالصور الفوتوغرافية مثلا.
- **الأيقون / الرسم البياني**:فيها تكون العلاقة بين الماثول وموضوعه قائمة على وجود تناظر بين عناصرهما مثال ذلك: البيانات التي تستعملها الإحصائيات.
- **الأيقون / الاستعارة**:والتشابه هنا لا يتعلق بعناصر محسوسة ومشتركة بين الماثول وموضوعه بل يتعلق بخصائص مجردة مثال:صورة شجرة صغير قد توحي بالطفولة(وجه الشبه ليس محسوسا وإنما مجرد:الطراوة النضارة....).

2- **العلامةالإشارية (Index) :** وهي العلامة التي تكون فيها العلاقة بين الماثول (المصورة) والموضوع علاقة سببية منطقية مثل ارتباط الدخان بالنار أوالأعراض الطبية التي تشير إلى وجود علة عندالمريض والآثار التي نراها على الرمال التي تدل على مرور أناس من هذا المكان .

3- العلامة الرمزية (symbole) : وهي العلامة التي تكون فيها العلاقة بين المصورة والموضوع علاقة عرفية (تستند إلى العرف الاجتماعي الذي يعد قانونا أو قاعدة) يقول بورس:« العلاقة الرمزية تشير إلى الموضوع الذي يعبر عنها عرفا غالبا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه مثل ارتباط الحمامة البيضاء بالسلام والشمس بالحرية وصوت الغراب بالشؤم».

3/ الاتجاهات السيميائية المعاصرة :

يذهب بعض الباحثين إلى أن التفكير في التاريخ المفهومي للنظرية السيميائية سابق لأوانه، ذلك أن البحث السيميائي لا يزال في تحول مستمر لا يسمح بتقديم حوصلة تاريخية،وبإزاء ذلك فإن اتجاهات عدة تتعارض، لا من حيث النظريات المتنافرة التي تقترحها فحسب وإنما من حيث تصورها لما يجب أن يشكل نظرية سيميائية.

أ- **سيميائية التواصل :**هو اتجاه سيميائي يدرس العلامات انطلاقا من معيار أساسي هو الوظيفة التواصلية،أما العلامات التي لا تستعمل في التواصل فلا يُدخلها في دائرة اهتمامه يذهب أنصار هذا الاتجاه جورج مونان (Mounin). جان مارتيني(Martinet) ايريك بويستس (Buyssens)لوس بريطو(Prieto)إلى أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى: الدال و المدلول و القصد (الوظيفة القصدية شرط من شروط سيمياء التواصل)،كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة)، وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلا). وباختصار يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلامة أداة تواصلية أي إفهامية إبلاغية بمعنى أنها : تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا .

ب- سيميائية الدلالة : يعتبر " رولان بارت" خير من يمثل هذا الاتجاه لأنه يوظف البحث السيميولوجي في دراسة الأنظمة والأنساق الدالة، من منطق أن العلامة وحدة ثنائية المبنى (دال ومدلول) على غرار ما اقترحه سوسير غير أن ما يميزه عن غيره من الاتجاهات أنه قلب أطروحة دوسوسير التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبينا بأن" اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميزا من علم الدلائل بل السيميولوجيا هي إلي تشكل فرعا من اللسانيات. ويرى بارت أن كل المجالات المعرفية ذات العمق السيميولوجي تفرض علينا مواجهة اللغة، ذلك أن الأشياء تحمل دلالات، غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة ... وهو ما جعل بارت يتسلح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير. أما عناصر سيمياء الدلالة فهي مستقاة لدى بارت على شكل ثنائيات: وهي اللغة،الكلام، الدال،المدلول والمركب ،النظام ...

ج- سيميائية الثقافة : قام أصحاب هذا الاتجاه –مستفيدين من الفلسفة الماركسية- بدراسة الظواهر الثقافية بوصفها موضوعات تواصلية ،فربطوا بين اللغة والمستويات الثقافية والاجتماعية ،معتبرين أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى الدال والمدلول والمرجع، مؤكدينأن العلامات التي يستخدمها الإنسان تتميز بغنى وتعقيد تفتقر إليها العلامات الأخرى، ويذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة . وهذا الاتجاه لا ينظر إلى العلامة المفردة بل يتكلم عن أنظمة دالة أي مجموعات من العلامات ولا يؤمن باستقلال النظام الواحد عن الأنظمة الأخرى بل يبحث عن العلامات التي تربط بينها، ولهذا الاتجاه أنصار ينتسب معظمهم إلى جماعة موسكو-تارتو) على غرار يوري لوتمان(Y.Lotman) و بوريس أوسبنسكي(B.Ouspenski) و فلاديمير توبوروف (V.Toporov).

السيميائية في النقد العربي المعاصر:

تعرف المفكرون والنقاد العرب على السيميائية منذ منتصف سبعينيات القرن المنصرم، نتيجة الاحتكاك الثقافي مع الغرب، ونتيجة الاطلاع على الدراسات والأبحاث المنشورة في

أوربا، وعبر البعثات العلمية المتوجهة إلى جامعات الغرب، ونتيجة فعل الترجمة. وأخذت تتأسس ويتسع نطاقها خلال الثمانينات من بوابة البلدان المغاربية وبعض اللأقطار العربية الأخرى ، حيث «هرعت الدراسات إليها تترى وعقدت لها ملتقيات، وأسست لها جمعيات(على غرار رابطة السيميائيين الجزائريين) ومجلات(على غرار مجلة " دراسات سيميائية أدبية لسانية "المغربية-1987)، ومحضت لها قواميس متخصصة(كما فعل التهامي الراجي الهاشمي، ورشيد بن مالك، وسعيد بنكراد)، وصارت مادة من مواد الدراسة في أقسام اللغة العربية وآدابها، ومنهجا ينتهجه الكثير من النقاد العرب المعاصرين...»، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد مفتاح ، عبد الفتاح كليطو ، محمد الماكري ، سعيد بنكراد من المغرب، علي العشي ، سمير المرزوقي من تونس، عبد المالك مرتاض، عبد القادر فيدوح، أحمد يوسف، عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين من الجزائر، قاسم المقداد، محمد خير البقاعي من سوريا، صلاح فضل من مصر وآخرون....

وكما هو واضح ، لقيت السيميائية اهتماما كبيرا من النقاد العرب المعاصرين، حيث توالت وتنوعت إسهاماتهم وتعددت تجاربهم باختلاف مشاربهم ، وتمثلت مشاركتهم من خلال:

- نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بهذا المجال الجديد(حنون مبارك، محمد السرغيني ، سمير المرزوقي، جميل شاكر، عواد علي، صلاح فضل، جميل حمداوي، فريال جبور غزولي..)

-ترجمة الكتب الغربية التي تعالج موضوع السيميائيات(محمد الماكري –أنطوان أبي زيد، عبد الرحمان أبي علي، سعيد بنكراد...)

-إنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب(محمد مفتاح، عبد الفتاح كليطو، سعيد بنكراد، محمد السرغيني، سامي سويدان..).

- كتابة وتحرير مقالات نقدية(انظر مجلة علامات ودراسات أدبية لسانية وسيميائية بالمغرب، ومجلة عالم الفكر الكويتية، وعلامات في النقد السعودية، ومجلة فصول المصرية...).

-إنجاز رسائل وأطروحات جامعية تقارب النصوص الأدبية والفنية والسياسية...على ضوء المنهج السيميائي .

هكذا جذبت السيميائية- كمجال بحثي جديد-عددا معتبرا من الباحثين، الذين أثروا المدونة النقدية العربية بنماذج بحثية مختلفة من حيث رؤاها المنهجية و منطلقاتها المفهومية و إجراءاتها التحليلية، ومتفاوتة أيضا في مستواها وأدائها المعرفي، يقول الباحث حسن مسكين:« ثمة إشارة ينبغي التنبيه إليها ،ألا وهي المرتبطة بنقل هذه النظريات كا حددتها السياقات الغربية (إيطالية- فرنسية-إنجليزية) ومحاولة اختبارها على نصوص وخطابات عربية، سواء المشرقية والمغاربية، حيث نلاحظ نوعا من التفاوت في الإنجاز والتطبيق. ففي الوقت الذي نلمس نوعا من الاستيعاب في التجارب المغاربية(مفتاح –بنكراد- مرتاض)،

نلاحظ نوعا من الضمور في التجربة المشرقية التي تكاد تنحصر في اسم أو اسمين(صلاح فضل) أساسا.»

إن فرادة **التجربة المغاربية** وتميزها عن **التجربة المشرقية** في المجال السيميائي ، جعل العديد من الباحثين يخصصون لها دراسات مستفيضة، محاولين تعقب مسيرة البحث السيميائي المغاربي، انطلاقا من أهم نماذجه ، وقد أكد بعضهم على غرار الباحثة بن سنوسي سعاد أنه يمكن التمييز بين مسارين من الدراسات السيميائية المغاربية:

الاتجاه الأول: يفتقر إلى التماسك المنهجي ووضوح الرؤية، حيث يغلب عليه طابع التجزيء والاختزال والتكرار والخلط بين المفاهيم وضعف الترجمة

بينما يتحدد الثاني في بعض الدراسات والأطروحات الجامعية التي تمثلت المنهج والنظرية السيميائية في شموليتها وتجانسها، ونلمسه عند ثلة من الدارسين المغاربة يجمع بينهم التخصص والرغبة الملحة في الدفع بالدرس السيميائي إلى ارتياد آفاق بحثية متطورة.

ضمن هذا المسعى ، حاول هؤلاء جاهدين تذليل العقبات و المشاكل التي يعاني منها الباحثون والطلبة لفهم الدراسات والمراجع العلمية في ميدان السيميائية واستيعابها، المشاكل ، و لعل أولاها وأهمها : **الاضطراب الاصطلاحي والمفاهيمي**، بدءا بترجمة مصطلح السيميائية – كما أشرنا إليه أعلاه- ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى «التعدد والتنوع القائم في النظريات والخلفيات الفلسفية والمعرفية التي تؤطر السيميائيات ذاتها والتي حدت بالبعض إلى التشكيك في قدرتها على تحقيق نتائج متميزة، واضحة ومحددة تبعد عنها صفتي التعميم والخلط. الأمر الذي انعكس بالضرورة على المستوى الإجرائي(التطبيق والتحليل). ووفقا لما يذهب إليه الباحث إبراهيم عبد العزيز السمري فإن« التطبيقات السيميائية في النطاق العربي عبارة عن تمارين شكلية تغفل الجوانب المرجعية والمضمونية والأبعاد الإيديولوجية، كما تخلط بين المناهج تلفيقا وانتقاء». ، وهو ما تتفق معه الباحثة بن سنوسي سعاد التي تعتقد أن معظم هذه التطبيقات أو الطروحات التحليلية« يستجيب لترسيمات جاهزة، ويعمد إلى إسقاطها إسقاطا جبريا على النصوص الأدبية من دون أن يقدم في الأخير لعمل نقدي تطبيقي له خصوصية منهاجية ترتقي بالنص وتجعل النموذج خاضعا له وليس العكس».

وهكذا يتجلى مأزق بعض **الخطابات السيميائية المغاربية** التي لم تستطع أن تتحرر من هيمنة نماذج التصورات الغربية في تحليلاتها وإجراءاتها المنهجية ، مثلما هو الشأن بالنسبة لتلك الخطابات التي احتكمت إلى الأنموذج الغريماسي بوصفه ممثلا للسيميائيات السردية (البنيوية).

والواقع ، أن المتتبع لمسار البحث السيميائي العربي ، سيلحظ شيوع بعض الدراسات النظرية والتطبيقية في الممارسة النقدية العربية التي تسترشد بالمقترحات التي أتى بها غريماس ، بل يمكن الحديث عن توجه عام لدى الدارسين المغاربة لتبني الطرح الغريماسي في مقاربة النصوص الأدبية ، ولقد كان المنحى القرائي وفق هذا التوجه، يقوم أساسا على

مبدأ المحايثة في تحديد مستويات الدلالة وأنماط تشكلها، حيث التركيز على الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تسهم في توليد الدلالة ، مرتكزا على تقاليد لسنية وبنيوية ، مثلما تشي به المنظومة الاصطلاحية والأدوات المنهجية الإجرائية التي توسل بها : البنية العاملية، المربع السيميائي، التشاكل، البنية السطحية، البنية العميق... وهو ما يحيلنا إلى نوع من القراءة النسقية المغلقة التي تشتغل على بنية النص دون أن تهتم بالعلاقة التي يمكن أن تقوم بين العمل الأدبي ومحيطه الخارجي، مختزلة بذلك الخطابات الأدبية ضمن المجال المغلق .

وما يمكن ملاحظته على معظم الدراسات التي احتكمت إلى النموذج الغريماسي أنها ظلت حبيسة الخطاطة القرائية التي وضعها غريماس، والتطبيق الجبري الآلي لمقولاته، الأمر الذي جعلها تسقط في فخ النمطية السلبية والتكرار المستمر إلى حد التناسخ.

وفي المقابل ، استطاع باحثون آخرون التحرر من هذه القيود الإجرائية وتمكنوا من تخطي حدود **النسقية المغلقة ومبدأ المحايثة**، والتحول باتجاه منحى جديد هو المنحى الانفتاحي للتوجه السيميائي ، الذي بدأت ترتسم معالمه مع مابات يعرف **بالسيميائية التأويلية** بعد أن «تهيأت السبل لاستدعاء مقولات الحوار المنتجة والفعالة بين السيميائية والتأويلية، حيث حاول هذا النزوع أن يصوغ فرضيات قرائية جديدة من أجل بلورة بنية النسق المفتوح وجعلها أكثر دينامية في مساءلة الدلالي والثقافي من النص الأدبي». وتندرج ضمن هذا المسعى كتابات سعيد بنكراد ، أحمد يوسف، رشيد الإدريسي، عبد اللطيف محفوظ... هذه المحاولات وغيرها تسعى إلى إخصاب القراءة السيميائية وإثراء أدواتها المنهجية وبالتالي الإسهام في طرح تصور جديد للمشروع السيميائي يقوم على التقاطعات المعرفية ، ويتجاوز الحدود والتخصصات الضيقة والمحدودة.